المحاضرة التاسعة: القصة المرسومة

أولًا: مدخل تمهيدي

تُعدّ القصة المرسومة أو المصوَّرة (Picture Book / Story in Pictures) أحد أهم أشكال أدب الطفل الحديث، وهي التي تعتمد على الدمج بين النص الأدبي والرسوم التوضيحية بحيث تتكامل الكلمة مع الصورة في بناء المعنى، فهي لا تُروى بالكلمات فقط، ولا بالصور وحدها، بل بالاثنين معًا في تناغم دلالي وجمالي.

تأتي هذه القصص في شكل كتاب صغير مزخرف بالألوان، يحتوي على رسوم تغطي معظم الصفحات، بينما تكون الجمل قصيرة وبسيطة، وغالبًا ما يقرأها الكبار للصغار أو يقرؤها الأطفال بأنفسهم.

ثانيًا: تعريف القصة المرسومة

القصة المرسومة هي عمل فني أدبي موجَّه للطفل، يروي حكاية أو موقفًا أو فكرة، من خلال تكامل بين الصورة والكلمة، بحيث تسهم الرسوم في توضيح الأحداث، والتعبير عن الانفعالات، ونقل القيم والمعاني، وبتعبير آخر: هي قصة تُقرأ بالعين والخيال في آنٍ واحد، إذ تحمل الصورة جانبًا من السرد لا يقل أهمية عن النص اللغوي.

ثالثًا: نشأة القصة المرسومة وتطورها

ظهر هذا النوع من القصص مع تطور الطباعة الملونة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، ومع حركة الاهتمام بالطفولة والتعليم الجمالي، من أشهر روادها العالميين:

- ✓ بياتريكس بوتر (Beatrix Potter) في قصتها الشهيرة حكاية الأرنب بيتر (1902)، التي اعتمدت على رسم الحيوانات ككائنات إنسانية.
- ✓ دكتور سوس (Dr. Seuss) في الولايات المتحدة، الذي استخدم الألوان الزاهية والشخصيات الكاريكاتيرية لتعليم الأطفال الأخلاق.

وفي الأدب العربي، تطورت القصة المرسومة التي مزجت بين السرد القصصي والرسوم التعبيرية منذ منتصف القرن العشرين مع مجلات الأطفال مثل:

- ✓ مجلة سمير (مصر)
- ✓ مجلّة العربي الصغير (الكويت)
- ✓ مجلّة ماجد (الإمارات)
- ✓ مجلّة الأطفال (الجزائر)

رابعًا: أهمية القصة المرسومة في تربية الطفل

تنمية الخيال والإبداع: الصور تفتح أمام الطفل عوالم خيالية، وتغذي قدرته على التصوّر والتخيل، مثال: عندما يرى صورة قطة تطير بمظلة، يبدأ الطفل بالتساؤل والتخيل حول ما يمكن أن يحدث بعد ذلك.

تيسير الفهم والإدراك: تساعد الصورة الطفل على فهم النص واستيعاب الأحداث حتى لو كانت لغته محدودة، مثال: قصة ليلى والذئب المرسومة تمكّن الطفل من تتبع الحدث بصريًا حتى قبل أن يتقن القراءة.

تعليم اللغة وتوسيع المفردات: تتيح القصة المصوَّرة ربط الكلمات بالصور، فيتعلم الطفل دلالات المفردات من خلال الملاحظة، مثال: عندما يرى صورة "تفاحة" بجانب الكلمة "تفاحة"، يتعلم الربط بين اللفظ والمعنى.

إثارة الانفعال والعاطفة: تعزّز الصورة الجانب الوجداني؛ فالطفل يتعاطف مع الشخصية حين يرى تعبيرات وجهها، أو ألوان الحزن والفرح في الرسم.

بناء الذوق الفني والجمالي: القصة المرسومة تُنمّي في الطفل حسّ التناسق، واللون، والتوازن، وتعرّفه على جماليات الفن التشكيلي.

غرس القيم والسلوكيات بطريقة غير مباشرة: الصورة تنقل الرسالة الأخلاقية بسلاسة دون وعظ، مثال: في قصة النحلة الكسولة، يُظهر الرسم كيف تضيع النحلة طعامها لأنها لم تعمل، فيتعلّم الطفل قيمة الجدّ دون خطاب مباشر.

خامسًا: أهمية الرسوم في القصص المصوَّرة

تلعب الرسوم دورًا محوريًا في هذا النوع من القصص، ويمكن أن نحدّد وظائفها كما يلي:

1. **وظيفة توضيحية:** تشرح المشهد وتفسر النص، خصوصًا للأطفال غير القادرين على القراءة، مثال: صورة الأم وهي تطبخ توضّح الحدث حين يذكر النص: "ساعدت ليلى أمها في المطبخ."

.2**وظيفة جمالية:** تجعل الكتاب أكثر جذبًا، وتثير اهتمام الطفل من خلال الألوان والخطوط المتناسقة، مثال: الألوان الدافئة (الأصفر، البرتقالي) تعطي شعورًا بالفرح، بينما الألوان الباردة (الأزرق، الرمادي) تعبّر عن الحزن أو الخطر.

.3**وظيفة سردية:** تُسهم في رواية الحدث، وقد تنفرد أحيانًا بسرد مشهد كامل دون كلمات.، مثال: يمكن أن تُظهر سلسلة من الصور تحول اليرقة إلى فراشة دون أي جملة مكتوبة.

.4**وظيفة رمزية:** تُعبّر عن معانٍ غير مباشرة من خلال اللون أو الشكل أو وضعية الشخصيات، مثال: الظلال الطويلة خلف الذئب في قصة ليلى والذئب توحي بالخطر قبل أن يصرّح النص بذلك.

.5**وظيفة تعليمية:** تُعرّف الطفل بالأشياء، الأشكال، العادات، المهن، البيئة، والزمان والمكان، مثال: رسم الحرف "أ" داخل كلمة "أسد" إلى جانب صورة الأسد.

سادسًا: مميزات القصة المرسومة للأطفال

- ✓ الاعتماد على التكامل بين الصورة والنص: فكل منهما يُكمّل الآخر؛ لا يمكن فهم القصة تمامًا من أحدهما وحده.
- ✓ الاختصار والتركيز اللغوي: الجمل قصيرة وبسيطة، تعطي للصورة المساحة الأوسع للسرد.
- ✓ الاعتماد على اللون والحركة: تُستخدم الألوان للتعبير عن الانفعالات والمواقف، مثال: الأحمر للخطر، الأزرق للهدوء، الأخضر للأمل.
- ✓ الطابع الحواري البسيط: كثير من القصص المرسومة تُبنى على الحوار القصير بين الشخصيات بلغة عامّة قريبة من الطفل.
- ✓ الزمن السريع والإيقاع القصصي المكثّف: لأن انتباه الطفل قصير، تعتمد القصة على مشاهد قليلة مترابطة.
- ✓ الشخصيات غالبًا رمزية أو حيوانية: مثل الأرنب، الدب، القطة، الطائر، لأنها تجذب الطفل وتُسقط عليها صفاته وأحلامه.
- ✓ وجود الرسالة التربوية: رغم الطابع الفني، إلا أن القصة المرسومة تظل حاملة لقيمة أو معنى سلوكي.

- ✓ سهولة التداول والانتشار: تُقدّم غالبًا في شكل مجلات، كتيّبات، أو منشورات رقمية تفاعلية.

سابعًا: أنواع القصة المرسومة (حسب المضمون)

القصة الخيالية المصوَّرة: تقدم عوالم سحرية وخيالية (جنّيات، حيوانات تتحدث، نجوم ناطقة)، مثال: قصة القمر الحزين حيث يتعلم القمر معنى المشاركة.

القصة الواقعية المصوَّرة: تعالج مواقف من حياة الطفل اليومية، مثال: يوم في المدرسة.

القصة العلمية المرسومة: تُبسط المفاهيم العلمية بالصور، مثال: كيف ينمو النبات؟ حيث تُظهر الصور مراحل النمو خطوة بخطوة.

القصة الدينية المرسومة: تُعرّف الطفل بقصص الأنبياء والقيم الإسلامية بأسلوب بصري، مثال: قصة يوسف عليه السلام برسوم معبرة ولغة مبسطة.

القصة التاريخية المصوَّرة: تقدّم أحداثًا تاريخية بطريقة مرئية، مثال: طارق بن زياد فاتح الأندلس.

القصة الفكاهية المرسومة: تعتمد على الموقف المضحك والرسم الكاريكاتيري، مثال: مغامرات سنجوب الكسول.

ثامنًا: المكوّنات الفنية في القصة المرسومة

- ✓ الفكرة — البذرة المركزية (قيمة، سلوك، تجربة)
- ✓ الشخصيات — بشرية أو حيوانية أو خيالية.
- ✓ الحدث — بسيط ومتماسك.
- ✓ الحوار — مختصر وذو نغمة موسيقية.
- ✓ الوصف — يعتمد على الصورة أكثر من الكلمة.
- ✓ الزمان والمكان — يوضحهما الرسم غالبًا.
- ✓ اللغة — واضحة، إيقاعية، ملونة بالصور الجمالية.
- ✓ الرسوم — عنصر أساسي في تكوين المعنى، وليست تزيينًا فقط.

تاسعًا: المعايير الفنية للقصة المرسومة الجيدة

- ✓ تكامل النص مع الرسوم دون تناقض.
- ✓ وضوح الفكرة والهدف التربوي.

- ✓ تناسب الألوان مع طبيعة المضمون.
- ✓ مراعاة الفئة العمرية للطفل.
- ✓ خلوّ الرسوم من العنف أو الصور المزعجة.
- ✓ وجود بعد جمالي وإبداعي يثري الحس الفني.
- ✓ الحفاظ على الأصالة الثقافية والهوية العربية والإسلامية في المضمون والشكل.

عاشرا: الخاتمة

القصة المرسومة ليست مجرّد كتاب مزخرف بالألوان، بل هي منهج بصري تربوي وفني متكامل يربّي في الطفل حب القراءة، ويُنمّي قدراته اللغوية والخيالية والفنية، فهي تمهّد لمرحلة القراءة الحرة، وتُدخل الطفل عالم الأدب بطريقة حسية ممتعة تجمع الخيال، والفن، والمعرفة، والجمال في لوحة واحدة.